

ظاهرة التكرار في سورة المدثر - دراسة صوتية دلالية

د. كوردیا احمد حسن ، هیوا عبدالله کریم

١ جامعة السليمانية- كلية اللغات- قسم اللغة العربية

Kurdia.hassan@univsul.edu.iq, hiwa.kareem@univsul.edu.iq

مافی چاپ و بلاوکردنه وه © ٢٠٢٠ كوردیا احمد حسن، هیوا عبدالله کریم

پوختە

مەبەست لەم توێژینەوێیە، کە بە ناوێشانى (ظاهره التكرار فى سورة المدثر - دراسه صوتيه دلاليه)ه، دەرخستنى دیاردەى دووبارەبوونەوێ فۆنیمە برگە و واتاكانیانە بەپێى میتۆدى زانستى زمانە دەرخستەکانى. بە شێوەیەك ئەگەر هاتوو دووبارەبوونەوێ لە دەقەكەدا بە كلیلى ئەو ئایدیایە دابنرت، ئەوا ئەم دیاردەیه دەتونیت بپتتە هۆى قوولترکردنەوێ ئایدیای دەقەكە.

بۆیە لیکۆلینەوێ کە جەخت لەسەر دیاردەى دووبارەبوونەوێ دەکات لە یەکیك لە دەقەکانى قورئانى پیرۆزدا، کە ئەویش سوورەتى (المدثر)ه، لە میانەى هەردوو دیاردەى دەنگ و برگە و هەولدان بۆ دەرخستنى کاریگەرى ئەم دیاردەیه لەسەر گوێگر بەپێى میتۆدەکانى زانستى زمانى دەروونى، بە جۆریك ئاسوودەییە ئارامى بە مرۆڤە باشەکان (موسلمان) بەخشیت و ترس و دلەراوکی لای مرۆڤە خراپەکان دروست بکات.

Abstract

The aim of this research that is titled "The Repetition Phenomenon in Surah Al-Muddathir (The one wrapping Himself UP): A Phonic Semantic Study" is showing the occurrence of repetition of phonemes, syllables and their meaning according to scientific method and its outputs.

If repetition is to be regarded as the key idea in the script, then this phenomenon can deepen the idea of the script. Therefore, this research emphasizes on the phenomenon of repetition in one of the chapters of the Noble Quran that is surah Al-Muddathir (the one wrapping Himself UP) by means of two aspects: phoneme and syllable.

The research also aims to show the effect of this phenomenon on the listener in a way that gives comfort and relief to the good people (Muslims) and brings fear and anxiety to the bad people according to the methods of the science of mental language.

المقدمة:

تدرج هذه الدراسة في سياق مشروع بحثٍ يتمحور حول ما نسميه بـ (ظاهرة التكرار في سورة المدثر - دراسة صوتية دلالية) في ضوء دراسة تطبيقية على سورة من السور في القرآن الكريم، وقد حاولت هذه الدراسة أن تستغل بغيء القرآن الكريم لتصاحب لونا من ألوان إعجازه متمثلاً في ظاهرة التكرار وهي من أعمق الظواهر اللغوية في النص القرآني وتؤدي أثراً أسلوبياً فريداً يلغي المعاني الزائدة ويُعزز ما يقتضيه الحال بحيث يلفيه المتأمل في أشكال، وأنماط متعددة يتجلى في أطوائه أغراض فضلاً عن دلالات مختلفة، فاللغة القرآنية لغة الوحي، والتنزيل ترتقي على لغة البشر، وهي تحاكي مفرداتها، بيد أنها تمتلك خصوصية أسلوبية ربانية يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، فهي توصيل وتعبير في آن، فلا نجد صوتاً زائداً بلا دلالة، ولا كلمة مترادفة إلى آخر، والحقيقة أن لكل بنية تشكيل اسماً كانت، أو فعلاً أو حرفاً قرآنياً تحمل في بنيتها (التمثلة بالصوامت والمصوتات) خصائص أسلوبية تشحن الكلام بدلالات مختلفة، فإن أي صوت داخل بنية تشكيل الكلمة هو عامل مؤثر في المعنى الكلي، وهذا التلاؤم بين الصوت والتغير الدلالي يتبعه تغيير في الإنفعال النفسي أيضاً الذي يُدرك من الملامح الصوتية المدركة حسيّاً في الكلام بحيث تتعاقب العاطفة والإنفعالات النفسية، وحركات الكلام ليتحول إلى الأصوات التي نسمعها، فتسترعي الأسماع، ويتمظهر هذا الانفعال بالتأثير في النفس بوساطة توالي الأصوات وتكرارها التي تترك إيقاعاً يتسم بالتأثير في المتلقي.

لذا ينصب إهتمامنا في تحليل سورة (المدثر) على إبراز النسيج الصوتي وأثره في دلالة الكلمة المفردة حين تعاقب التكرار القرآني؛ لاستكناه هذه الجماليات المتولدة من وراء هذه التكرارات، ومن جانب آخر إبراز وظيفة التكرار من حيث أنها تعكس حالة الانفعال العاطفي الفصوي، وشدة التوتر في الانفعال المكبوت، ويصبح من العسير التعبير عنه بكلمات مبسترة.

ولدراسة هذه الظاهر دراسة تحليلية تأويلية يقتضي أيضاً الأخذ بنظر الاعتبار الملامح الثلاث: النطقية، والفيزيائية، والإدراكية، وبيان أثر التكرار الصوتي في إظهار الدلالة المقصودة في النص القرآني، وينبغي دراسة الملامح الصوتية، ومن ثم المقطعية، لأن معالجة أي قضية في الأصوات تحتاج إلى المقطع لأنه يشكل وحدة فونولوجية أكبر من الأصوات (الفونيمات).

وهذا البحث اشتملت على مبحثين إثنيين هما: سبقتها مقدمة، وتلتها خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها والمبحث الأول فتوقف عند تعريف التكرار لغةً واصطلاحاً، من ثم ظاهرة التكرار في الخطاب القرآني في حين خصص المبحث الثاني لمعالجة ظاهرة التكرار في السورة في ضوء دراسة تطبيقية وفق قراءة (حفص عن عاصم) وبتلاوة (محمد صديق المنشاوي)، مع الارتكاز على الصوت وتكراره موضحاً دوره في تماسك الألفاظ وكذا الآيات داخل السورة، ومن ثم دوره في تعميق فكرة النص.

المبحث الأول

- ظاهرة التكرار:

التكرار لغةً: فهو مأخوذ من الكز: أي الرجوع، أو الرجوع على الشيء، ومنه التكرار ويُقال: كررْتُ الشيء تكريراً، وتكراراً (ينظر: ابن منظور، 1988، 240/5).

التكرار اصطلاحاً:

التكرار ظاهرة أسلوبية مميزة في التعبير القرآني، إذ حظيت باهتمام البلاغيين واللغويين، والنقاد العرب قديماً وحديثاً، ولا سيّما علماء النفس أيضاً، لأنها ظاهرة فنية، وأسلوبية لها طاقاتها الإيقاعية، وآفاقها المعنوية وأهميتها البنائية، حيث تتجسد الطاقات الإيقاعية للتكرار بواسطة الجرس الموسيقي والنغم الإيقاعي الذي يحمله الصوت داخل البنية التشكيلية في النص، وتتجلى الآفاق المعنوية للتكرار في تسليط الضوء على الوحدات الصوتية (الفونيمات) المكررة، وإبراز ما تحمله من دلالات، والإيحاء بها، والتي ما كان لها أن تتجلى بآفاق معنوية، وقوة تأثيرية دون أسلوب التكرار، وتبرز الأهمية البنائية للتكرار نتيجة قيامه بأثر رئيس في تماسك البناء النصي، وشدّ أطرافه، وربطها بنسيج النص الكلي.

ويأتي التكرار غالباً في أسلوب القرآن الكريم لغرض التقرير والتوكيد، يقول الزكشي (ت 794هـ) (وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: إنَّ الكلام إذا تكرر تقرر) (1972، ص: 9/3) فهو يأتي (إمّا للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو للتحويل، أو للتعظيم، أو للتلذذ بذكر المكرر) (ربابعة، 2001، ص: 14)، وبما أنَّ التكرار وسيلة من وسائل التربية، والتثقيف فهي تكتسي أهمية بالغة في القرآن الكريم، إذ تجلّت كثيراً عند وردها في مواطن مختلفة، استحققت الدرس والتحليل لأهميتها في بناء الإيقاع، ففي التكرار (متعة تجعله قريباً إلى النفس، سريع العلوّك بالقلب، سهلاً في حفظه وترداده) (نحلة، 1989، ص: 103).

يقول علماء النفس متى كثر تكرار أمرٍ تولّد تياراً فكرياً وعاطفياً، ولا يأتي ذلك إلا بتكرار حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به وتمركزه حوله إلى جانب ما يثيره من الانفعالات الأخرى التي تدخل في تركيبه، إذ لا يكفي لتحويل الانفعال إلى العاطفة أن يحدث مرّة واحدة (ينظر: فهمي، 1987، ص: 57).

والذين تحدثوا عن التكرار من الوجهة النفسية أشاروا إلى أهميته في النفس الإنسانية، فإنَّ للتكرار وظيفته الاجتماعية والنفسية، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة (ينظر: بدوي، 2005، ص: 143) فهو كما يقول غوستاف لوبون (Gustavo LeBon): (يحوّل المكرر إلى معتقد) (المطفي، 1992، ص: 331/1).

يرى الزمخشري (إنَّ في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور) (الزمخشري، 2000، ص: 383/3) فهو بمثابة أداة لغوية يعكس جانباً من الموقف الشعوري والانفعال لدى المتلقي، وفي الوقت نفسه يؤدي إلى تماسك الألفاظ والآيات داخل السورة الواحدة، من خلال امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، وهذا العنصر قد يكون صوتاً، أو كلمة، أو جملة، أو عبارة، ويمكن أن تتمثله فيما يأتي:

١- تكرار الأصوات: فتكرار صوت بعينه، أو أكثر في جملة ما وبنسب متفاوتة فهو إمّا أن يكون لإدخال تنوع صوتي يخرج القول من نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً يؤكد، وإمّا أن يكن لشد الانتباه إلى كلمة أو كلمات بعينها عن طريق تألف الأصوات بينها، وإمّا أن يكون لتأكيد أمر إقتضاه القصد فتساوت الأصوات المكررة في نطقها له مع الدلالة في التعبير عنه (ينظر: عياشي، 2002، ص: 87).

۲- تکرار الكلمة: يكون تکرار الكلمة ضمن التشكيل الصوتي ذا قيمة إيحائية تعبيرية، أو قد (يسهل إستقبال الرسالة) فإنّ تکرار كلمة بعينها سيؤدي إلى تشكيلات لغوية جديدة وصياغات سياقية، ودلالية مختلفة فضلاً عن إبراز بعض الصور المختلفة، وإلى تكتيف الدلالة الإيحائية للنص.

۳- تکرار الجملة: تحدّث عن هذا النوع من التکرار الدكتور منذر عياشي، وعن أهميته في تلاحم النص، ولاسيما النص القرآني فقال: إنّه (يدخل في نسيجه لحمه وسدى ويشد أطرافه بعضها إلى بعض، ويعطي شكله نوعاً من الحركة يدور فيها الكلام على نفسه ويتكرر دون أن يعيد معناه) (عياشي، 2002، ص: 84-85)

ظاهرة التكرار في الخطاب القرآني

إنّ ظاهرة التكرار من أعمق الظواهر اللغوية في النص القرآني، فقد احتوى الخطاب القرآني على تکرار طبيعي خالٍ من التكلف، مؤدياً لأثر أسلوبية متميز، وهذا الأثر ألغى المعاني، والدلالات الزائدة في الذكر الحكيم، معزراً ما يقتضيه الحال بحيث يُلغى المتأمل في أشكال، وأنماط مختلفة يتجلى في أنواعه أغراض ودلالات مختلفة و تجلى في أنواعه الإعجاز كونه أمراً لم يألّفه العرب من قبل، وعجزوا عنه من بعد ما جاء به القرآن لما فيه من جمع اللفظ والمعنى من دون تناقض، واتساع المقام للأخبار والقصص، وفيه أصل الفصاحة في تنويع الأساليب، فأشكال التعبير هذا يعكس غرائب الدلالات الغائبة عن عقول البشر، فهي كظاهرة تُؤصل اللغة لما يستلزمه المقام ويقتضيه السياق لتحقيق المقاصد، فاللغة القرآنية لغة الوحي والتنزيل ترتقي على لغة البشر، وهي تحاكي مفرداتها، بيد أنّها تمتلك خصوصية أسلوبية ربانية يعجز البشر عن الاتيان بمثلها فهي توصيل، وتعبير في آن واحد .

فلا نجد صوتاً زائداً بلا دلالة، ولا كلمة مترادفة إلى كلمة أخرى، والحقيقة أنّ لكلّ بنية تشكيل اسماً كانت، أو فعلاً أو حرفاً قرآنيّاً تحمل في بنيتها (المتتملة بالصوامت والمصوّتات) خصائص أسلوبية تشحن الكلام بدلالات مختلفة، فإنّ أي صوت داخل بنية تشكيل الكلمة هو عامل مؤثر في المعنى الكلي (الأوسي، 2014، 25).

وثمة ظاهرة إعجازية أخرى في القرآن الكريم منها (الإعجاز النفسي) مراعيّاً القواعد النفسية في مظاهر الاعتقاد، ومأرب الانفعال وجوانب التأثير فما من امرئٍ سليم الفكر، نقي الضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه إلا تأثر به فالأسلوب له تأثيره في النفوس لأنّه يربط بوشائجه المتينة بين المتلقي والنص، وقد أفضت معظم الدراسات الصوتية أن ليس ثمة علاقة طبيعية بين المكون الصوتي ودلالة الكلمات، بل ثمة علاقة نصية سياقية حسب، توحى بها الأصوات وسماتها وتشابكها في منظومة مكررة، فإنّ أصواتاً بعينها تُوظف في سياق نصي معين لتجسد معاني وأفكاراً بعينها يتطلبها السياق والموقف، وهي أقدر على التجسيد من أصوات أخرى بدليل قوله تعالى

{حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ} (المَدَّثَرُ الآيَة: ٥٠) الأصوات في كلمة (مستنفرة) تُعطي طاقة تعبيرية هائلة عن حركة (النفار)

السريعة في تجسيد حال الكفار المعذبين الداعية إلى السخرية أكثر من كلمة (هرب) على سبيل المثال، فالصوت اللغوي على الرغم من أنّه مكوّن صغير فإن له الفضل في رسم معالم الخطاب القرآني، وهذا التلاؤم بين الصوت، والتغيير الدلالي يتبعه تغيير في الانفعال النفسي أيضاً الذي يدرك من السّمات الصوتية المدركة حسيّاً في الكلام بحيث (تتعاقد العاطفة والانفعالات النفسية بحركات الكلام ليتحول إلى الأصوات التي نسمعها) (Heffner, 96). فتسترعى الأسماع، والطبائع، وعليه فإن التشكيل الصوتي يختلف تبعاً لاختلاف المواقف ويتمظهر هذا الانفعال بالتأثير في النفس بواسطة

توالي الأصوات التي تترك إيقاعاً يتسم بالتأثير في المتلقي، وهذا شيء صحيح (مادامت التصرفات ترجمة لما يرسله الدماغ المتأثر بالمشاعر من أوامر عن طريق الأعصاب، فتتحرك العضلة المطلوبة) (البريسم، 2000، ص 74).

لذا انصب إهتمامنا في تحليل سورة (للمدثر) على إبراز النسيج الصوتي، و بيان أثره في دلالة الكلمة المفردة التي تعانق التكرار القرآني، لاستكناه الجماليات المتولدة من وراء هذه التكرارات، و إبراز وظيفة التكرار من حيث إنه يعكس حالة الانفعال العاطفي القُصوى وشدة التوتر في الانفعال المكبوت الذي يتشعب ويُصبح من العسير التعبير عنه بكلمات مُبتسرة (البريسم، 2000، ص: 74).

والذين تحدثوا عن التكرار من الوجهة النفسية أشاروا إلى أهميته في النفس الإنسانية فإنَّ للتكرار وظيفته الاجتماعية والنفسية، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة، (ينظر: بدوي، ٢٠٠٥، ص ١٤٣). وبذلك (يفوص التكرار في أعماق النفس ويدل عليها، يكشف عن مخزونها من المشاعر والأحاسيس)، (ملا عزيز، ٢٠١٠، ص: ٢٦٢)، حين يكون مبعثه الإشارة إلى الحالة النفسية للإنسان في مواقف الخوف والاعتذار، والابتهاال، والاستعذاب، والاستمالة، والتلطف وما إليها من الأغراض النفسية في مختلف المناسبات والمواقف ويقول علماء النفس متى كثر تكرار أمرٍ تولد تياراً فكرياً وعاطفياً، ولا يتأتى ذلك إلا بتكرار حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به، وتمركزه حوله إلى جانب ما يُثيره من الانفعالات الأخرى التي تدخل في تركيبه، إذ لا يكفي لتحويل الانفعال إلى العاطفة أن يحدث مرّة واحدة، (ينظر، فهمي، ١٩٨٧، ص: ٥٧).

عليه فإنَّ التوظيف في القرآن الكريم تقوم على فكرة الاختيار الواعي لعناصر لغوية معينة وتوظيفها عن قصد لإحداث التأثير المطلوب، إلا أنَّ الكشف عن مدى هذا التوظيف وأبعاده يقتضي من الباحثان استخدام وسائل قياس دقيقة تتيح لهما فرصة التعرف عليه واختياره وينطلق عندئذٍ من مبدأ أنَّ كلَّ نص يعتمد في أسلوبه على العلاقات القائمة بين معدلات التكرار للمكون الصوتي داخل بنية مقاطع مكررة مع العناصر النحوية والمعجمية ومعدلات تكرار نفس هذه العناصر في قاعدة متصلة به من ناحية السياق، (فضل، د.ت، ص: ٢٠٧)، أي نركز في معرفة معدلات تكرار العناصر اللغوية في نص معين على الاحتمالات السياقية، فلكي نقيس أسلوب مشهد ما من الضروري أن نقارن معدلات عناصره اللغوية في مستوياتها المختلفة (الصوتية، والمقطعية) مع ملامح نصٍ آخر، فالتكرار في حقيقته إنما هو اختيار وإيثار لصيغةٍ بعينها الذي يمكن تسميته بـ (المفاتيح) أو كلمة (المفتاح) وهي التي تكون لها ثقل تكراري وتوزيعي في النص بشكل يفتح مغاليقه، ويبدو غموضه، (السيد، ٢٠٠٩، ص: ١٦٩).

عليه فإنَّ اللفظ المكرر في نص ما، هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، ولقدرته على الإثارة النفسية، ويتمظهر هذا الانفعال بالتأثير في النفس بوساطة توالي الأصوات التي تترك إيقاعاً يتسم بالتأثير في المتلقي.

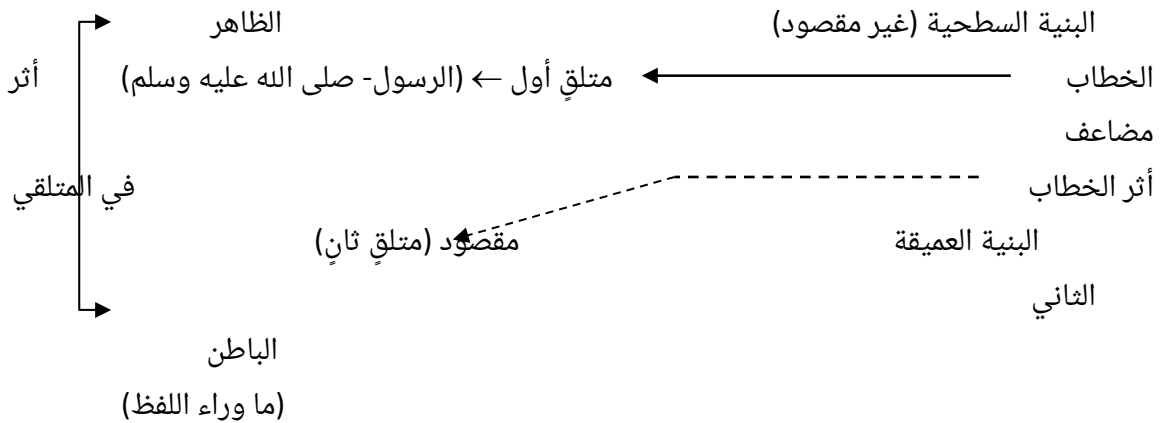
إذ إنَّ هذه الانفعالات تتجاوب معها الأصوات التي تشكل بنية المقاطع، ولدراسة هذه الظاهرة دراسة تحليلية تقتضي الأخذ بنظر الاعتبار الملامح الثلاث النطقية، والفيزيائية، والإدراكية، لبيان أثر التكرار الصوتي في إبراز الدلالة المقصودة في النص القرآني يجب علينا دراسة الملامح الصوتية، ومن ثم المقطع الصوتي، لأن معالجة أي قضية من قضايا الاصوات (الفونيمات) بحاجة إلى المقطع لأنه يشكل وحدة فونولوجية أكبر من الفونيمات.

المبحث الثاني

ظاهرة التكرار وتطبيقها في سورة المدثر

افتتحت السورة بتوجيه الخطاب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ((يا أيُّها المدثر...)) بهذا النداء المؤكد باستعمال "أيُّ" ثم إبدالها بالمدثر، وإدخال هاء التنبيه، عليها أفادت التنبيه البليغ، فالإيقاظ المؤكّد غاية التأكيد ليُقبل بكتيبه وبقلبه على ما يُلقى إليه بصفته المتلقي الأول في البنية السطحية للسورة أي (سطح النص)، وفي البنية العميقة (وهو المقصود) موجه إلى متلقي ثانٍ فيتخذ شكل المتلقي بُعداً تأويلياً من خلال توجيه القول إلى مخاطب معين فعلياً على سطح النص لكنه ليس المراد بهذا القول، فيكون تفاعل ظاهر النص وباطنه حاصلًا من الوجهة الحقيقية للكلام، لأن المخاطب بها هو المتلقي الأول الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومنه إلى كلّ سامع وبمقاربة إحصائية لأنماط حضور هذه البنى يقف البحث على مجموعة من المقاربات، والآراء لتحولات هذه البنى دلاليًا وخطابياً، ويمكن أن تجد الدلالات التي صيرتها القوى التعبيرية بؤرتها لتهويل الأمر وتفخيمه وتعظيمه، ثمَّ إنَّ يُقصد بها إفهام المخاطب أموراً يغفلها، أو يغفل عظمتها، لقصور إدراكه العقلي عنها فإذا ما انطلق من الله سبحانه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسبغ عليها هالة من التعظيم لأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو المبلغ عن ربّه تعالى إلى البشر، لأنّه يؤدي أثراً توصيلياً بسبب حضوره المستمر في النص، ثمَّ إنَّ فيها بيان ضآلة عقول المخاطبين لأنَّ الخطاب مقصودٌ به جمهور محتمل مفتوح على الزمان والمكان وبتوجيه الخطاب إلى مَنْ لا يتوارد عليه الشرك وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) فانبثق لدينا مستويات من التلقي (ينظر: الحياي، ٢٠٠٤، ص: ٥٢-٥١).

المستوى الأول: خاص بالمتلقي الأول وهو ما أداه ظاهر النص الذي يتم حضوره بـ (كاف الخطاب) و(صيغة الأمر) التي تعالقت مع الطرف الأول وفق تشكلها الدلالي في السياق.
المستوى الثاني: وهو المراد به باطن النص، وخطابه موجه إلى كلِّ من تتسول له نفسه الإشراف بالله تعالى، بوصفها طريقاً للوصول إلى المتلقي الحقيقي المقصود ويبقى النص مفتوحاً على متلقين بتجدد الزمان والمكان.



وإذا أردنا استشراف آفاق حقيقة هذا المفهوم، فإننا يمكن وعلى سبيل المثال أن نحلل آيات هذه السورة الكريمة، فهي في بنيتها السطحية بموضوعها وتعبيرها وظلالها نلتمس لمسمة حنان تبعث الطمأنينة والسكينة إلى قلب نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) لازالة الخوف، والقلق من نفسه، فإنَّ النداء اللطيف (يا أيُّها المدثر) تُشعّره بالأمن،

والطمأنينة، وتزِيل الخوف من نفسه بغية إعداد نفس الرسول (صلى الله عليه وسلم) للنهوض بالتبعة الكبرى، ومواجهه قريش بعد ذلك بالدعوة جهاراً مما سبترتب عليه مشاق كثيرة، ومتنوعة، يحتاج في مواجهتها إلى إعداد نفسي مسبق، لذلك تضمنت السورة في مطلعها النداء العلوي (قطب، ١٩٨٨، ٣٧٥٢/٢٩)، فكان للنداء أثر لطيف في إزالة الخوف والقلق من نفس النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد درج النص القرآني الأوامر بأسلوب تشعر النبي بالأمن، والطمأنينة، إزالة الخوف من نفسه، ورفع همته للتهيؤ لهذا الأمر العظيم. فالسورة تتحدث عن شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في لحظة من سيرة حياته لحظة انقطاع الوحي عنه لمدة زمنية، لذا فهي تعالج آفاق نفسية مزّ بها النبي (صلى الله عليه وسلم) من حالة اكتئاب يمتزج بإحساس الخيبة، والقلق والحيرة والحاجة إلى الطمأنينة التي تظهر بوضوح في صورة (التدثر) ففي (تدثره أقوال تجعل جميعها التدثر مادياً يرتبط بقوله (دثروني، دثروني)، وحالة الحزن، والخوف التي عليها إبان نداءه من السماء أنه نبي مرسل) (الزمخشري، ٢٠٠٠، ص ١٨٠/٤)، كما نلاحظ في (المدثر) مدلوله على التفكير في أمور الدين والدعوة، وحسن السياسة والتدبير (الزمخشري، ٢٠٠٠، ص ١٨٠/٤)، والإشارة إلى المنقطع عن الدنيا المشغول عنها بحب الله تعالى، ويقارب به الدلالة على معنى النهوض بهوم الإنسان والقلق على مصيره، وكيفية إنقاذه من الظلال، ودعوته إلى الإيمان والحق (الجيوسي، ٢٠١٤، ص: ١٢٩)، وفي قوله (وثيابك فطهر) صورة تنطوي على دلالات مختلفة، فمن الممكن أن تكون رمزاً للتزكية، والتطهير النفسي أي (السلوك الداخلي، والخارجي) أو النفسي والحركي، فطهارة الثياب من أجل الصلاة يُشكل سلوكاً حركياً (خارجي)، وتطهير النفس من السيئات يُشكل سلوكاً نفسياً (داخلي)، فمن معطيات الغسل نفسياً أنه يُذهب الهمّ والحزن (البُستاني، ١٤٢٤ق، ص ١٧٣/٥-١٧٤).

فعمد الخطاب القرآني في بداية السورة إلى التدرج لإخراج النبي (صلى الله عليه وسلم) من هذه الحالة النفسية المضنية معتمداً على وظائف لغوية مختلفة غايتها طمأنينته، وبالتالي توجيهه بعد انتزاعه من النوم والتدثر، والدفع إلى الجهاد، والكفاح والمشقة وإلى مهمة تبليغ الدعوة، والصدع والإنذار.

عليه، فقوله تعالى (يا أيها المدثر (١) قم فانذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) وبربك فاصبر (٧)).

{يا أيها المدثر (١)}

ي -	ء - ي	ى -	ه - ل	م - د	د - ث	ث - ر
ص م م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م
ص	ص	ص م	ص	ص	ص	ص

{قم فانذر (٢)}

ق - م	ف -	ء - ن	ذ - ر
ص م م	ص م	ص م	ص م
ص	ص	ص	ص

{وربك فكبر (٣)}

jzsb.univsul.edu.iq

وَ	رَبَّ	بَ	كَ	فَ	كَبَ	بِرَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ} (٤)

وَ	ثَ	يَ	بَ	كَ	فَ	طَهَ	هَرَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{وَالرَّجْزَ فَأَهْجُرَ} (٥)

وَلَ	رُجَ	زَ	فَهَ	جُرَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{وَلَا تَمُنَّ تُسْتَكْتَرُ} (٦)

وَ	لَ	تَمَ	نُنَ	تَسَ	تَكَ	ثَ	رُ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{وَلرَّبِّكَ فَاصْبِرْ} (٧)

وَ	لَ	رَبَّ	بَ	كَ	فَصَ	بِرَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

فهذه الآيات تمثل المشهد الأول، وتنضوي تحت مضامينها حالتين نفسييتين: هما الحالة الأولى : متمثلة في خيبة الأمل المشحونة بالكآبة، وقد (هدّه ما يُعانيه من التوتر العصبي، لقد كان يتفانى كأنّه شيء خامد سقط في النوم) (مالك بن نبي، ٢٠٠٠، ١٢٧).

والحالة الثانية : تتمثل في زهاب الهمّ والحزن من قلب النبي الكريم (صلى اله عليه وسلم) بفعل النداء الرباني الذي بدأت بصيغة الخطاب المباشر من الله عز وجل المبني على الحُب والملاطفة والرفق فكان كفيلاً بإذهاب الهم والحزن

عنه وقد تجلى هاتين الحالتين في هذه الآيات الكريمة بوضوح فعلى المستوى الصوتي تبين لنا من خلال تحليل بنية التشكيل الصوتي للصوامت الداخلة في تشكيل هذه الآيات أن معظم الأصوات المكررة تتسم بالجهر، والشدة، والرخاوة واللين إلى جانب الأصوات البينية وهي (م، ر، ق، ن، ذ، ل، ج، ب، الياء والواو) فتكررت هذه الأصوات المجهورة (١١٠) مرة وبنسبة (٧٣٪).

وإذا ما علمنا أن (الصوامت المجهورة تنماز بالقصر مقارنة بالصوامت المهموسة) (Carole, 2007, ص: 19)، وأن (الأصوات المتسمة بالقصر ترددها أعلى من الأصوات المتسمة بالطول) (Lade Foged, 1982, 90).

ظهر لنا سبب احتواء الآيات على نسبة عالية من الأصوات المجهورة العالية التردد، ليتجانس ويتلائم مع سرعة عملية نهوض النبي، وإذهاب الهمم والخزن عنه. أما تكرار الأصوات المتوسطة أو ما تُسمى بـ (المائعة) (٣٦) مرة، وبنسبة (٣٩٪) وتقارب نسبتها مع الأصوات المتسمة بالشدة التي تكررت (٣١) مرة وبنسبة (٣٣٪) في هذه الآيات تنسجم مع الحالة النفسية للرسول (صلى الله عليه وسلم) أي بين حالة الهمم والخزن والطمأنينة من جانب آخر مع التوسط بين التكليف وشدة الأوامر التي وجهها الله عز وجل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فخلق نوعاً من القوة والصرامة في إصدار هذه الأوامر وبين الرفق والرحمة.

جاء تكرار صوت (الراء) في أواخر الآيات أي (الفواصل) وهو ساكن (ذ - ز / ب - ز / ج - ز /) ليحفز شعور الطمأنينة والهدوء والسكينة عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن جانب آخر، دلالة على الحركة فهو صوت (مكرر) (سيبويه، ١٩٨٣، ص: ٤٣٤/٤) ويتسم بالترددات العالية و بـ (التمفصل) (حسن عباس، ١٩٩٨، ص: ٤٤) يتناغم ودلالة الإنذار أي استمرار النبي (صلى الله عليه وسلم) في إنذار الناس ودعوتهم إلى عبادة الله تعالى (البستاني، ١٤٢٤، ق، ١٧٥/٥).

تكررت (الفاء) في هذه الآيات (٥) مرات، وهو صوت أسناني شفوي رخو (سيبويه، ١٩٨٣، ٤٣٤/٤) يتسم بالرقعة والاستمرارية، وتنكمش الشفاه عند نطقه، وكونها من الأصوات الاستمرارية، وعلى فرض تحريكه بالمصوت [a]، فإنّ الذهن يكون أكثر انتباهاً (حسن عباس، ١٩٩٨، ١٣) فهو يتناسب مع روح الاستنهاض السارية في النص كُله (إذ يؤتى بها لتصوير استمرارية الحالة التي وصفت بها حتى تأتي المرحلة التي تليها) (الخضري، ١٩٩٣، ١٣١)، فإنّ تكرار (الفاء) مع كل صيغة أمر عمقت معنى (الاستنهاض والمبادرة، والإصرار على تجاوز كل العقبات التي تعترض طريق تبليغ الدعوة والنفاذ بها إلى الأسماع والقلوب) (الخضري، ١٩٩٣، ١٣٢) وهي من حروف العطف الزائدة التي تعبر عن قصر المدة الزمنية (الجيوسي، ٢٠١٤، ١٣١) ولما كان الإنذار محفزاً قوياً للسرعة، فإنّ (الفاء) أفادت التعقيب، ففي الآيات حركة سريعة توافي الإنذار والتهديد.

عليه فإنّ تكرارها في السورة (٣١) مرة أضفت على السياق الحركة السريعة الدائبة التي تسري في النص القرآني كُله.

وللمصوّتات دورها الإيحائي في إبراز دلالة الآيات ومن هنا عدت جزءاً من الوحدات الفونولوجية (Phonological units) التي تشارك في دلالة الكلمة (النعيمة، ١٩٩٨، ١٢-١٣).

فهيمنة المصوّت القصير [a] المتسم بالترددات العالية، وهي تعدّ من أقوى الأصوات وأخفها، و(تنتج بجهد ووقت أقل) (البريسم، ٢٠٠٠، ٤٩) توحى بحدوث القيام من دون أي ثقل أو تكلف إذ يرقى تكراره إلى (٢٧) مرة في هذه الآيات.

الواو: صوت شفوي مجهور يتسم بالتردد إذ يبلغ زمن تردده في المقطع المفتوح /و____/ (٤) و /م____/ (١٠٩ م/ث) (Carole, 2007, 218)، عليه فإنّ تكرار هذا الصوت (٥) مرات في هذه الآيات أفادت في ترتيب وتعقيب الأوامر التي أنزلها الله على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، فتوالي هذا الصوت مع التوازن الذي نلمسه في وزن الفاصلة (أفعل)، وهي صيغة

دالة على الأمر وتوحي بالعزم والقوة، التي جاءت على هيئة أوامر من الله سبحانه وتعالى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم)، تؤكد لنا أنها تحمل رسالة نفسية، وهو أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستجمع أقصى ما أوتي من طاقة للتأهب والاستعداد لمواجهة الكفار، والتحلي بالعزم والتصميم، والتحمل لما سيتعرض له من أذى المشركين ابتغاء رضوان الله.

التحليل المقطعي:

المقطع هو (البنية الأولى التي يتشكل منها النص، له وظيفة فنية ودلالية.. ولا توجد دلالة ثابتة لكل مقطع، لأنّ دلالة المقطع تتشكل وفق تضافره مع المقاطع الأخرى، ووفق تتابع المقاطع في السياق الكلي للنص، ولا توجد دلالة منعزلة عن السياق) (مبروك، ٢٠٠٢، ٥٤-٥٥) وبفضل (الربط بين الكيفية الإنتاجية للمقاطع من الناحية الفيزيائية، والنطقية، والوظيفية، وبين الكيفية التوزيعية، والتنوعية) (قادر، ٢٠١١، ١٠٨) تتواشج البنية المقطعية مع البنية الدلالية لتضفي عليها تنوعاً صوتياً وإيقاعياً، ونغماً مناسباً للمحتوى الدلالي يرفد الخطاب بإيقاع معبر مناظر للمحتوى والجو، والموقف، فتأتي المقاطع متمكنة في موقعها منتظمة، ومتعاقبة ومعززة للبنية الدلالية، والنفسية، ومعقدة أثرها في ذهن المتلقي، كما تنهض بدور كبير في إضاءة المعنى، وعليه، فإنّ تتبع كمية المقاطع ورصدها في التشكيلة المقطعية وتحديد نوعيتها من حيث الانفتاح والانغلاق يكون منفذاً للولوج إلى البنية العميقة والتعرف على المضامين والمواقف الكلامية الحاضرة لها، فقد أثبتت التجارب أنّ المقطع له ارتباط وثيق بالحالة النفسية، والمضامين، والأفكار) (البريسم، ٢٠٠٠، ٤٨-٤٩).

ويتجلى ذلك في الآيات السبع الأولى التي تهيمن عليها المقاطع المغلقة (ص / م / ص) فقد بلغت (٢٤) مقطعاً، وليس في هذه السلسلة الطويلة من المقاطع المغلقة سوى ثلاثة مقاطع مفتوحة (ص / م / م) وقد جاءت متباعدة في مواقعها، فلم يكن لها أي تأثير ملحوظ ولعلّ مرد ذلك أننا نستمد من المقاطع المغلقة القصيرة (ص / م / ص) دلالة الثبات والاستقرار والقوة، فهي آيات قصيرة تتضمن أوامر تكليفية، وتربوية روعي في صياغتها، وإيقاعها أن تكون مناسبة لجدية الأمر الإلهي، ولما يقتضيه إعداد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الحزم والصرامة، وثمة ملحظ نفسي آخر متولد من إيقاع المقاطع المغلقة وتوافرها بكثرة في هذه الآيات، لاسيّما في الآية الأولى إذ بلغ عدد مقاطعها المغلقة (ص / م / ص) (٥) مقاطع ليتساق مع الثقل النفسي الذي كان يعيشه النبي (صلى الله عليه وسلم). ومما يعضد هذه الدلالة توافر التضعيف مرتين في قوله تعالى (المدّثر) (مُد / دَ ث / ثَ ر) الدّالة على التفكير والمبالغة في التخفي والإيماء إلى شدة الفزع. أما فك الإدغام في الآية (٦) في قوله تعالى ((ولا تمنن تستكثر)) (و_ / ل_ / ت_ م / ن_ ن) يتناسب وذهاب الهم والحزن عن النبي وحب الظهور والشهرة.

ولما كان الإنذار محفزاً قوياً للسرعة فإنّ المقاطع القصيرة المفتوحة (ص م) التي بلغت تكرارها (١٩) مقطعاً رفدت البنية الصوتية للآيات بإيقاع سريع يتلائم مع روح الاستنهاض السارية في النص كلّ بدءاً من لفظ (قُم) (ق_ م) الدال على وجوب التأهب والاستعداد للمواجهة والتحلي بالعزم والتصميم، ففي هذه اللفظة يتمظهر إيقاع السرعة أثناء مشهد النهوض الذي يمثل الحركة الصاعدة إذ إنّ الإنسان بصورة عامة يرتاح نفسياً إلى الحركة الصاعدة لدلالاتها الرئيسية على الحياة (ملا عزيز، ٢٠١٠، ٤٣-٤٥)، فالقاف صوت مجهور انفجاري يتسم بالقصر، والضمّة [u] المثسمة بالقصر والذبذبة الواطئة، فإنّ توافر خصيصة القصر في الضمة ساعدت على إبراز الحركة السريعة، ثم إنّ مجيء الضمة معها في (ق_ م) يُحاكي قصر المدّة الزمنية، فهما يمثلان الحركة الصاعدة فالضمّة [u] مصوّت خلفي مرتفع مدوّر (بركة، ١٩٨٨، ١٣١)، يتسم

بالترددات المنخفضة إذ تبلغ (320-240 Hz) كما يتسم بالنقل والقصر فهو من أقصر المصوتات والميم صوت شفوي مجهور يتسم بالترددات العالية إذ تصل إلى (800-1100 Hz)، والصوت ذو التردد العالي يمتلك موجة أقصر من الصوت ذو التردد الواطيء (أبو الهيجاء، ٢٠٠٠، ١٣٤) وهو يدل على الانضمام عليه فإن توافر خصيصة القصر في هذه الأصوات ساعدت على إبراز الحركة السريعة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمُنَا يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾-(٨):

فَ	ءَ	ذَ	نَ	قَ	رَ	فَ	لَ	نَ	قَ	رَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

﴿فَإِذَا يَوْمُنَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾-(٩):

فَ	ذَ	لَ	كَ	يَ	وَ	مَ	نَ	عَ	سَ	رَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾-(١٠):

عَ	لَ	لَ	كَ	فَ	رَ	نَ	غَ	يَ	رَ	سَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

حركة سمعية فقوله ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يُمَثَل صورة صوتية شاخصة تمثّل فاعلية الصوت وما يترتب عليه من ردّ فعل حافل بالحركة العنيفة يوم البعث والنشور (صالح، ٢٠١٠، ص: ١٥١-١٥٢) تتجاوز الرعب والذهول لهول المشهد، و﴿نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾، أي نفخ في الصور (الرازي، ١٩٨١، ٢٨١/١).. حينما ينفخ في الصور (ترتج الأرض بأهلها)، فعملية النقر إيدانٌ بانتهاج الحياة وإشعاعاً ببداية حياة أخرى، وبما أنّ حاسة (السمع) هي المثير الذي يقوم بعملية تصدير الأفعال الخارجية إلى داخل الشخص (أي جهازة العقلي) حينئذٍ فإنّ عملية النقر تكون مظهر من مظاهر حركية الصوت، وحركية السمع في آن واحد (البستاني، ١٤٢٤ ق، ١٧٨/٥) و(صالح، ٢٠١٠، ١٥٢)، ولا شك أنّ (الصوت الذي ينقر الآذان أشدّ وقعاً من الصوت الذي تسمعه الآذان) (قطب، ١٩٨٨، ص: ٣٧٥٥/١٩).

ومما يعزز هذا التصوّر توافر تقابل إيقاعي بين القصر والطول في هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾. و﴿فَإِذَا يَوْمُنَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾-﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

يتمظهر الإيقاع في الآية (٨) من خلال مشهد النقر في الناقور بين الحركة السريعة والمفاجئة وبين طول مدّة النقر التي تلوح بالعذاب الشديد الذي ينتظر الكافر في الحياة الأخرى وهي تتلائم مع ما يتسم به صوت (القاف) من النقل

وشدة انفجاره ودوئی والحالة النفسية للكافر وهو في حالة الصعق الذي تتجاوز الرعب والذهول لهول المشهد، فتساوق النون الرنينية، وهو صوت هيجاني ينبعث من الصميم مع القاف الدالة على المفاجئة (عباس، ١٩٩٨، ص: ١٤٤) مع الزاء الدالة على الحركة والتكرار لكشف واقعة النقر أو النفخ في الصور وسرعتها (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المراد) (النعمي، ١٩٨٠، ص: ٢٨٥) أي تناغم الصورة الصوتية مع الصورة البصرية ليرسم إيقاع الآية، وهو إيقاع سريع يتسم بالشدّة والقساوة، عليه فإنّ تكرار النون والقاف والزاء في الآية دليل على تكرار الفعل في (الناقور) التي توحى بطول المدّة الزمنية للنقر وإستمراريته، فالمصوّت الطويل [a:] ينتج في وسط اللسان، والفم يكون مفتوحاً إلى أقصى درجة وتكون درجة الرنين فيه كبيرة وهو من أوسع المصوّتات، ويتسم بالطول (أنيس، ١٩٩٩، ص: ٢٧).

فالقاف: صوت انفجاري مفخم يتميز بقوة الجرس والضخامة، إذ يستلزم النطق به ما يُشبه القرع المفضي إلى النقر وهو ثقيل على السمع يكاد يخرق الأذن خرقاً لذا فهو جدير بتصوير مواطن القوة والشدّة كما في (نُقر في الناقر) فشدة انفجاره ودوئيه هنا يتواءم مع شدّة الصعق التي تذهب عقولهم، والقاف المكررة تعطي نبراً أقوى إلى جانب طبيعتها التي تتسم بالانفجار، فشدة انفجارها ودوئها القوي تهز كيان المجرمين، وتصيبهم بالرعب، والذهول لهول المشهد.

والنون: صوت لثوي - أنفي مجهور يصل التردد فيها إلى حوالي (800-1100 Hz) (Carole, 2007, ص: 214) وصوت النون من الأصوات النغمية الحادة المؤثرة في المتلقي تأثيراً بالغاً وقد جاء مع القاف والزاء لتزيد فعالية تأثيرها في المتلقي، فهذا الصوت بقوته الاسماعية العالية وغنته الموسيقية (عبدالجليل، ٢٠٠٢، ص: ٤١٤) يجسد علو صوت النفخ (النقر) في الصور.

الزاء: صوت مجهور لثوي تاجي، والزاء الساكنة تعطي نبراً أقوى إلى جانب طبيعتها التي تتسم بالتكرير في نطقه، فيتواءم ذلك مع تكرار عملية النقر واستمراريته.

وتمثّل الآيتان (٩) و(١٠) في قوله تعالى: (فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين غير يسير). إيقاع الطول في مشهد مقاومة الكفار لهذا اليوم العسير والطويل فتتجلى في الآيتين ثنائية تقابلية بين (الثواب / الجزاء) و(العسر / اليسر) والترغيب / ال ترهيب).

فكلمة (عسير) توحى بالاختناق والكرب، والضيق، والهول العظيم، و(غير يسير) يشعر بعسره على الكافرين كما هو يسير على أصداهم المؤمنين، ففيه جمع بين وعيد الكافرين، وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم. وهذا ما يُنبئ إلى تحليل بنية التشكيل الصوتي للآيتين حيث توافرت فيهما الأصوات التي تتسم بالاستمرارية، فتكررت (السين، والزاء). فالسين، صوت مهموس احتكاكي تنصف بالترددات شبه العالية لما فيها من قوة أكوستيكية ناجمة عن سرعة الهواء المتدفق غير التضيق الحاصل في موضع نطقها فهي توصف بـ [الصفيرية] (حسان، ١٩٥٥، ص: ١٢٨) و(الشايب، ١٩٩٩، ص: ١٩٦)، فقوة الصفير في السين وصعوبة النطق بها بسبب الضيق الكبير في المجرى تتناسب وسياق تهديد الله سبحانه وتعالى وترعيبه للكافرين.

وتكرار الزاء في أواخر الآيات (الفواصل) وإهتزازاته الارتدادية تذكر الغافلين وتشعرهم بدوام الصعق.

أما مجيء المصوّت الطويل [i:] وتكرارها مرتين (س — ر / س — ر) وهو مصوت أمامي يتسم بالتردد العالي يبلغ (270-310 Hz) (Carole, ٢٠٠٧، ص: ٢٦٣)، فتكراره في هذه الآيات عمقت دلالة العسر فهو عسر لا يتخلله يسر فيوحي هذا اليوم بالاختناق، والكرب، والضيق مع استمرار عملية النقر، وإذا نظرنا إلى المستوى المقطعي لهذه الآيات أفضى بنا

إلى أنَّ سياق الإنذار الذي يوقظ حس الغافلين باليوم العسير يستلزم هيمنة المقاطع القصيرة المفتوحة التي تتسم بالسرعة في تحركها، وهذا يتناغم مع حالة الإنذار الشديد.

وثمة ملحظ نفسي آخر متولد من الإيقاع النابع من اجتماع المقاطع القصيرة، والمقاطع المغلقة واللين تنتجان بمدة زمنية أقصر من إنتاج المقاطع الطويلة المفتوحة (عمر، ٢٠٠٥، ص ٣: ١٣٢) وهو أنَّ هذه المقاطع تشير إلى حالة الخوف المهيمن على نفسية الكافر بسبب قرب ساعة الحساب، فالمقاطع المغلقة تكاد تبرز لنا هذه النفوس وهي تضطرب فهم يمرون بيوم عسير غير يسير لا تكاد تنتهي هذا العسر وهذا العذاب وذلك أنَّ الاحساس النفسي بالقلق، والانقباض، أو الضغط النفسي، والتذبذب يكون مع تكوين المقاطع المغلقة.

كما أفضت المقاطع الصوتية الطويلة التي توحى بطول المدة الزمنية نظراً لاختتامها بالمصوِّتات الطويلة إلى استمرار النقر وطول مدته لتسجل حدة التأزم والضيق النفسي الذي يمر بها الكافر.

وفي قوله تعالى ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ (١١) وجعلت له مالا ممدوداً (١٢) وبنين شهوداً (١٣) ومهدت له تمهيداً (١٤) ثمَّ يطمع أن أزيد (١٥) كلا إنَّه كان لآياتنا عنيداً (١٦) سأرهقه صعوداً (١٧).

﴿ذرني ومن خلقت﴾ (١١):

ذ ر	ن	و	م ن	خ	ل ق	ت	و	ح	د
ص م	ص م م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م م	ص م م

﴿وجعلت له مالا ممدوداً﴾ (١٢):

و	ج	ع ل	ت	ل	ه	م	ل ن	م م	د
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م م	ص م	ص م م	ص م م

﴿وبنين شهوداً﴾ (١٣):

و	ب	ن	ن	ش	ه	د
ص م	ص م	ص م م	ص م	ص م	ص م	ص م م

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ (١٤):

و	م ه	ه د	ت	ل	ه	ت م	ه	د
---	-----	-----	---	---	---	-----	---	---

ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----

{ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ}-(١٥):

ث م	ي م	ط م	ع م	ن م	ع م	ز م	د م
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}-(١٦):

ك م	ل م	ن م	ه م	ك م	ن م	ل م	ي م
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م
ت م	ن م	ع م	د م	ن م	ن م	ع م	ي م
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا}-(١٧):

س م	ع م	ص م	ه م	ق م	ه م	ع م	د م
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

فهذا المقطع يتحدث عن إحدى الشخصيات التي عاصرت الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو (وليد بن المغيرة) فهو أحد زعماء قريش، وسَمَّه التعبير القرآني الكريم ب (العناد) لهذه الشخصية المنحرفة بغية فضحه أمام الملأ وتبئين الأسباب التي دفعته إلى مواقفه المعادية للإسلام، فعليه سينال ما يستحقه من جزاء لموقفه المشينة والسيئة إلى جانب استمرار الخطاب الموجه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الآيات بغية (تهوين أمرهم عليه وتحقير شأنهم لديه بوعده بالكفاية) (البقاعي، ١٩٨٤، ص: ٤٨/٢٩)، بعد إذ كانت هذه الشخصيات المنحرفة تهدف من استعمال أو توظيف اسلوب السخرية، والاستهزاء إلى تدمير الرسول (صلى الله عليه وسلم) معنوياً أي تحطيم نفسيته لذا تكفل الله عز وجل بتولي الذر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ يشير إلى أن هذا الأسلوب يحتاج إلى قوة ضخمة أكبر وهي قوة الله تعالى، فحقيقة (ذر) في قوله تعالى {ذرني ومن خلقت وحيداً}-(الآية: ١١) بمعنى (بأسي وعذابي إلا أن الأول أبلغ في التهديد) (الزماني، د.ت.، ص: ١٧٨)، أي (دعني وأتركني وحدي معه فإنني أكفيك في الانتقام منه) (البخاري، ١٩٩٢، ٤٠٦/١٤-٤٠٧) كمواساة للرسول (صلى الله عليه وسلم) وزيادة في تسكين قلبه، وشرح صدره ففي (ذرني) غضب إلهي عميق يُثير jzsb.univsul.edu.iq

وكذلك يتناظر تراكم المقاطع القصيرة المتسمة بالقصر، والسرعة في هذه الآيات مع قرب أبنائه منه وهم في الذروة وبتمام العقل والقوة، وهذا ما دل عليه قوله تعالى ((وبنينا شهوداً)).

فتوالي المقاطع الطويلة المفتوحة (ن - ح - د - م - د - ه - ز - ل - ك - ع - ي - ن -) التي بلغت (١٩) مقطوعاً توحى بالمبالغة والتدرج في سلسلة من المعطيات التي أغدقت على الوليد بن المغيرة، إذ كان يمتلك الإبل والخيل، والأراضي، والجواري، والعبيد، وأموالاً متنوعة أخرى وجملة من البنين.

وتوفرت له وسائل العيش بنحو ملحوظ إلا أنه كان يطمع في المزيد، وهذا ما توميء إليه أواخر الآيات (الفواصل) ما عدا الآية (١٠) في قوله تعالى {ثم يطمع أن أزيد}. إذ تشير أداة التراخي (ثم) إلى استبعاد الزيادة له على حالته هذه من عدم الشكر وتكذيب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويوحى المقطع القصير (ص م) في (أزيد) (ع - ز - د -) إلى انحراف سلوك الكافر.

ومما يعضد هذه الدلالة ويعمقها تكرار مادة (مهدت) و(تمهيداً) مرتين، فكلمة مهدت تجمع كل النعم التي أنعم الله بها على هذه الطاغية (ليسهل على المتلقي فهم الحقيقة).

أما تراصف المقاطع المفتوحة الطويلة في الآية (١٦) يتناغم مع تماهي هذا الكافر في كفره، وعناده كما يوحى بالتهديد الشديد، والوعيد.

ويُعزز هذا التصور مجيء (كلاً) كردع وزجر، وإبطال لطمعه في الزيادة من النعم وقطع لرجائه مع تطمين النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن الوليد سيقطع عنه مدد الرزق لئلا تكون نعمته فتنة لغيره من المعاندين فيغيرهم حاله بأن عنادهم لا يضرهم وثمة ملحظ آخر، وهو أن تكرار كلمة (كلاً) أربع مرات في هذا النص بحركتها الصاعدة الممتدة، وبإيقاعها المشحون بالغضب الإلهي يمثل تصعيداً للخطاب الموجه للنبي (صلى الله عليه وسلم) بغية تطمينه وتهديته، وأن الله سبحانه وتعالى سيتولى حربهم وهنا يرتعش الحس ارتعاشة الفزع المزلزل وهو يتصور انطلاق القوة (قطب، ١٩٨٨، ٣٧٥٦/٢٩) الدالة عليها صوت الكاف، وتكرار اللام والألف عليه فإن العذاب الذي يلحقه في الدنيا والآخرة سيكون له تميزه وتفردُه إذ تشير الدراسات أن ثروة هذا المنحرف بدأ بالنقصان بعد قوله تعالى ((كلاً إنه كان لآياتنا عنيداً)) حتى افتقر ومات فقيراً (الرازي، ١٩٨١، ١٩٩/٣٠). وهذا ما دلّت عليه لفظة (أزيد) وخلوها من المد أو المقطع الطويل المفتوح (د -).

ويعقب على الردع والوعيد الذي يبذل اليسر عسراً، والتمهيد مشقة! ويؤذن تغيير (الدال) الممتدة بحركتها الألفية إلى (الراء) الدالة على الاضطراب والحركة في قوله تعالى {سأرهقهُ صعوداً} (١٧) إنه فكر وقَدَّر (١٨) فُقْتِلَ كيف قَدَّر (٢٠) ثُمَّ قُتِلَ كيف قَدَّر (٢١) ثم نظر (٢٢) ثُمَّ عبس وكبر (٢٣) ثم أدبر واستكبر (٢٤) فقال إن هذا إلا سحبت يؤثر (٢٥) إن هذا إلا قول البشر (٢٦)، باستمرار تفكير الوليد بن المغيرة وتقليب رأيه واستجماع ذهنه، ليجد تهمة يلصقها بالقرآن، فهذا الحوار يكشف عن مدى التمرق والاضطراب والانسحاق الذي يعمل في داخل هذه الشخصية المنحرفة لذا ترسم لنا هذه الآيات البعد النفسي والمفارقة التي إنطوى عليها سلوك هذا الشخص المنحرف بوساطة الحوار الخارجي الذي اقترن بالحوار الداخلي. عليه فإن العذاب الذي يلحقه في الدنيا والآخرة سيكون له تميزه وتفردُه، وهذا ما دلّت عليه تكرار (الراء) في أواخر الآيات (فواصلها)، فتكرار الراء (١١) مرّة بضرباتها المتتالية على اللسان في اثناء النطق تكشف عن الاضطرابات الدائمة التي كان يُكابدها هذا المنحرف في محاولاته المتكررة للافتراء على القرآن، وذلك بامعان النظر وتقليب الأمر على وجوهه.

ولعل العطف بـ (ثُمَّ) أربع مرات يُعزز دلالة الزاء على الإشارة إلى طول التفكير واستغراقه في الحيرة (مجلة المجلة، ١٩٦٩، ص: ٩)، فأدت (ثُمَّ) دورها في تعميق الصراع، وإبراز المعاناة وتكاثف الحيرة، وصعوبة التخلص من آثار الهزيمة النفسية التي خلفها سماع القرآن في نفسه (ينظر: البريسم، ٢٠٠٠، ص: ٧٤).

فنلاحظ تراكم الوصل المتحقق بثلاث أدوات (الفاء، والواو، وثُمَّ)، وقد جاء بناؤها في النص وفق استراتيجية بنائية، فقد بادر إلى التكذيب، والعصيان فور حدوث الإرادة المقصودة بدلالة حرف العطف (ثُمَّ) الذي استعمل للربط بين مراحل الحدث (التفكير) وتعطي إحساساً بالانفصال الزمني، فهي بطبيعتها تحمل دلالة الحركة والتتابع بلا نظر إلى الزمن المقيد (ينظر: مجلة المجلة، ١٩٦٩، ص: ٩)، فقد استلزم تفكيره وإدباؤه وسعيه لكي يخطط مكيدته وقتاً، وعندما عاد السياق إلى دلالة السرعة، والتعقيب بالفاء لأنها مرحلة تصعيد للحدث إلى أن وصل إلى ذروته بأن نسبته إلى السحر فقال: (إن هذا إلا سحرٌ يؤثر) - فحرف (الفاء) تحمل لنا رسالة نفسية، وهي أن هذه المقالة لما خطرت بباله بعد طول فكره كان كأنه خاطر خَطر في ذهنه فألقاه دون وعي أو تفكير، فهي توقفتنا على تسرعه في الحكم على القرآن، وأنه لم يخضع لفكر، ولم يصدر عن قناعة، وبقين، لكانه يسرع الهرب بعد أن ألقاه (الجيوسي، ٢٠١٤، ص: ٣٤٠)، فبعد هذا المخاطب، وهذا الحذق كله، لا يفتح عليه بشيء، وإنما يدير عن النور ويستكبر عن الحق وهذا ما دلّت عليه التركيب البنائي للفعلين (عبس، وبسر) من دون ذكر للمفاعيل وهي أفعال متعددة لتعظيم شأن الفعل وتهويله، وهو أبلغ، إذ الحذف هنا أدى دوراً في إتساع دلالتها، ففي الآية انفعال ضماني يُغيّر الضجر بدلالة هيمنة الأصوات المجهورة بنسبة (٨٤،٢١٪) مقارنة بالأصوات المهموسة بنسبة (١٠٪) فهذا التصوير البطيء في المشهد ينقل لنا لقطة، وهو يفكر ويدبر ومعها دعوة هي قضاء (فَقُتِلَ!) مع استنكار كله استهزاء (كيف قَدَّر) ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار فـ (التكرار من شأنه أن يعمق جذور الفكرة التي تحملها العبارة المكررة) (الخطيب، ١٩٦٤، ص: ٣٩٢) فـ (أدبر) دلالة إلى السرعة والكلام الصاخب اللاهني (جامعة القادسية، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٢، ص: ٧١) والقبول السطحي أي يقول شيء ويؤمن به، أو هو مقتنع بشيء آخر، بالسخرية منه، والاستهزاء به وتشير التكتلات الصوتية الداخلة في بنية تشكيل هذه الآيات إلى إبراز الأصوات الانفجارية المتسممة بالشدّة بنسبة كبيرة تجاوزت (٨٦٪)، هذا ما يتلائم مع أسلوب التهديد، والوعيد الذي وُجّه إلى تلك الشخصية التي انحرفت عن المسار الطبيعي، إذ ينتظره من عذاب الآخرة الشيء المرعب، وهو ما دلّت عليه تراصف الأصوات الشديدة وهي (القاف، الكاف، الذال، التاء) مما يخلق الخوف والرعب، والفرع في نفس الطاغية.

فالقاف: صوت انفجاري مفخم خلفي يتميز صوت القاف بقوة الجرس، والضخامة وذلك بسبب انفجار صوته عند التلفظ، لذا فهو جدير بتصوير مواطن الشدة، والقوة يصفه الأرسوزي بأنه (للمقاومة) (حسن، ١٩٩٨، ص: ١٤٤). فشدة انفجارها، ودويها القوي توحى بانقباض نفسية المنحرف، وإضطرابه، وتوتره وهو يكبد في التفكير من أجل حياكة تهمة حيال النبي (صلى الله عليه وسلم) ورسالته، والتقدير هو وصوله إلى تهمة (السحر).

وتكرار صوت الكاف الطبقي الانفجاري المتسم بالشدّة والصلابة (ينظر: البهنساوي، ٢٠٠٥، ص: ٢: ٧٧، وإستيتيه، ٢٠٠٣، ص: ٣١٣) خمس مرات ليرفد البنية الصوتية لهذه الآيات بإيقاع شديد قوي مزلزل موائم مع جو الوعيد، والتهديد، كما توميء إلى تشتت فكر الشخص المنحرف، فالشخصية المنحرفة نتيجة أعمال عقله في تقليب الأمر على مختلف وجوهه (حسن، ١٩٩٨، ص: ٢٦٢) وترتيب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، ولكن دون جدوى، وصوت الذال الخارج من الحلق بين اللسان، وأصول الثنايا يوحى بأنّ التفكير ينبع من العقل، والقلب ويظهر على اللسان، والجوارح على هيئة صور ك (عبس وبسر - أدبر - استكبر).

وتكرار صوت الميم ثماني ميزات في هذه الأيات مع تكرار حرف العطف (ثُمَّ) تحمل دلالة الاتساع والانفتاح المنبثقين من ضم الشفتين وانفتاحهما في اثناء النطق بها (عباس، ١٩٩٨، ص: ٧٢-٧٤) فيحاكي بسمة الإطباق، والانغلاق، والضم، والقوة شدة تمرد المنحرف على انحرافه، وكفره بحيث لا يُرجى اهتداؤه، ثم إنَّ السياق الصوتي بوجود الثاء والميم يدعو ضمناً إلى تحقيق سمة الاتساع لبيان أن حيل الكافر ومكايده في توسع وامتداد واستمرار، فالثناء صوت مهموس رخو (قدوري، ٢٠٠٢، ص: ١٩٢) يتراجع اللسان إلى الداخل في اثناء خروجه ليصور تراجع هذا المنحرف عن كلمته، وفكرته، ثم إنَّ التصاق طرف اللسان بمقدمة اللثة وتعلقه به يُعبر عن شدة تعلق المنحرف بعناده، وشدة إصراره عليه وذلك (أنَّ التصاق طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا يدل على التعلق) (حسن، ١٩٩٨، ص: ٥٩).

{سَأْرَهْقُهُ صَعُوداً}-(١٧):

سَ	ءَ ر	هَ	قَ	هَ	صَ	عَ	دَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ}-(١٨):

ءَ ن	نَ	هَ	فَ ك	كَ	رَ	وَ	قَ د	دَ	رَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ}-(١٩):

فَ	قَ	تَ	لَ	كَ ي	فَ	قَ د	دَ	رَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ}-(٢٠):

ثَ	مَ	قَ	تَ	لَ	كَ ي	فَ	قَ د	دَ	رَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

{ثُمَّ نَظَرَ}-(٢١):

ثَ	مَ	نَ	ظَ	رَ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (٢٢):

ث	م	ع	ب	س	و	ب	س	ر
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣):

ث	م	ء	ب	ر	و	ت	ب	ر
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْتِرُ﴾ (٢٤):

ف	ق	ل	ء	ه	ذ	ء	ل	س	ح	ر	ن	ي	ث
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

﴿إِنَّ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥):

ء	ن	ه	ذ	ء	ل	ق	و	ل	ب	ش	ر
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

أما على المستوى المقطعي صورت البنية المقطعية لهذه الآيات المباركة الحركة العنيفة، والانفعال الشديد فهي تصور موقف رجل كذب القرآن، وأراد أن يصد الناس عن الإيمان، فالموقف هنا موقف انفعالي مليء بالحركات العنيفة، ففي باطن النفس حركة واضطراب (إنه فكر وقدر) وفي ظاهره حركات محتدة قوية ﴿ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ وقد عبرت الآيات عن هذا الموقف الانفعالي بتكرار المقاطع المقفلة (ص م ص) (٢٦) مرّة والمقاطع القصيرة (ص م) (٤٩) مرّة، وتكمن أهمية تراصف هذا النوع من المقاطع إذ يتوالى بسرعة في العبارة لتوحي بصورة الموقف. وليس بين هذه السلسلة الطويلة من المقاطع القصيرة، والمقفلة إلا سبعة مقاطع طويلة مفتوحة (ص م م) جاءت في آخر هذا الوصف التصويري (فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر، إن هذا إلا قول البشر).

فوجود هذا القدر من المقاطع الطويلة المفتوحة في آخر هذا الوصف نابع من براعة التصوير القرآني وبديع التناسب، وهذا ينسجم مع الانفعال الشديد، والحركة النفسية، التي كانت في بداية الموقف، والرجل مجدّ في التفكير، والتقدير ستهدأ شيئاً فشيئاً عندما يجد الفكرة التي يبحث عنها.

نستشف مما سبق ذكره أنّ السياق القرآني قد نحا منحى تدريجياً في وصف هذا الإنسان، وما آتاه الله من نعمه وآلائه، فعندما يتجه النص إلى التعبير بـ (الصورة) الحسية بدلاً من التعبير بـ (المباشرة) إنّما يعني أنّ هناك أهمية، أو أنّ

هناك جزاءً له خطورتُهُ التي تختلف عن العقاب المادي (البُستاني، ١٤٢٤ ق، ص: ١٨٢/٥). لذا يعقب الردع بالوعيد الذي يبدل اليسر عسراً، والتهديد مشقةً (قطب، ١٩٨٨، ص: ٣٧٥٧/٢٩)، في قوله تعالى ﴿سَأَرْهُقُهُ صَغُوداً﴾ (الآية: ١٧) فالصعود، والإرهاق قد يُشعان بدلالة نفسية، فإنَّ الشدائد النفسية سيُرهق بها الشخص المنحرف، ويتصاعدُ بها إلى ما لا نهاية من الإرهاق (البُستاني، ١٤٢٤ ق، ص: ١٨٢/٥)، ولما انقضى بيان عناده عقب عليها بالوعيد المفزع ﴿سَأَصْلِيهِ سَقْر﴾ (الآية: ٣٦) وهو تفصيل لجزاءه بعد قوله أنَّ القرآن سحرٌ يؤثر (ينظر: الألوسي، د.ت، ص: ١٢٥/٢٩، والبقاعي، ١٩٩٠، ص: ٥٩/٢٩)، مما يستوجب التلويح بالعذاب، لذا يتضافر هذا التصعيد الدلالي، والنفسي في الخطاب تكرر صيغة المضارع في مستهل الوعيد مقترنة بـ (السين) المؤكدة الذالة على قرب وقوع الفعل (السامرائي، ٢٠٠٠، ص: ٢٩-٢٦/٥٤) أي العذاب وتجددُهُ، واستمرارِيتهُ إلى جانب ذلك فإنَّ تكرر السين تساقق دلالتها مع قرب العقاب وخطاب الإنذار والوعيد، وتصعيدهما داخل النص.

فالسین: صوت أسناني لثوي احتكاكي مهموس يتسم بالحدّة يتراوح مداهُ بين (١٠٠-١٧٠ م/ث) (العاني، ١٩٨٣، ص: ٧٥)، وهي من الأصوات التي تنصف بالترددات شبه العالية لما فيها من قوة أكوستيكية ناجمة عن سرعة الهواء المتدفق عبر التضيق الحاصل في موضع نطقها فهي توصف بـ [الصفيرية] (ينظر: الشايب، ١٩٩٩، ص: ١٩٦)، فقوة الصفير في السين، وصعوبة النطق بها بسبب الضيق الكبير في المجرى تتناسب مع سياق تهديد الله سبحانه وتعالى، وترعيبه للشخصية المنحرفة، إذ المراد به الوليد بن المغيرة، وكلّ شخص منحرف، لأنَّ التهديد لا يوجد لغيرهما.

أما تكرر صيغة (أفعل) فمبني على التناسق الدلالي مع فكرة الإنذار الموجودة في النص وقد إحتلت أماكن غير ثابتة على مدى السورة مع انتقال الخطاب من الاسناد إلى الذات الفاعلة الحقيقية (الله جلّ جلاله)، فالصورة الأولى ﴿سَأَرْهُقُهُ صَعُوداً﴾ تأتي مساندة لآية ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً﴾ وهي كلمة وعيد وتهديد.

أما الصورة الثانية ﴿سَأَصْلِيهِ سَقْر﴾ (الآية: ٣٦) يجوز أن تكون بدلاً من الصورة الأولى وبما أنَّه خالف الصواب، وجادل الحقَّ البين، فإنَّ الصورة الثانية تأتي أكثر شدة، وأسوأ مصيراً من الصورة الأولى فـ ﴿سَأَصْلِيهِ سَقْر﴾ أي أصلاهُ الله تعالى ناراً مع الغيرة فعذبه بها.

وإذا ما حاولنا استجلاء الصورة الأولى، فالأصوات في بنية تشكيل ﴿سَأَرْهُقُهُ صَعُوداً﴾ تصور لنا الحركة الصاعدة القوية، ففي الآية يتمظهر إيقاع الشدة نتيجة لـ (الحركة الصاعدة القوية)، ومما توحى بهذه الحركة الصاعدة حركة اللسان لنطق الأصوات الداخلة في بنية تشكيل الآية، وتراصف الضمة معها تصور لنا مشهد صعود هذا الشخص للجبل ووقوعه في الهاوية فتساقق صوت الهمزة [؟] مضموماً مع الزاء الذالة على الحركة والتكرار، وهو صوت انفجاري حنجري يتسم بالانسداد التام في فجوة الفم، فهو صوت ثقيل ينتج بانغلاق الوترين الصوتيين بصورة محكمة (ينظر: العاني، ١٩٨٣، ص: ٧٥) ويستوجب نطقه جهداً عضلياً شديداً عليه فهي تتلاءم مع الإرهاق الشديد، والمشقة التي ترافق صعود الجبل، ونطق الضمة معها في (ء ـ ر) المتسمة بالثقل، والترددات الواطئة (Low frequency) إذ تبلغ (٢٤٠-٣٢٠ ذ/ث)، فتكرار الضمة [u] في (ء ـ ر / ق ـ هـ / ع ـ ئ) إنما جاء ليسانده هذه الأصوات الذالة على الحركة والاضطراب بدلالاتها على الحركة الصاعدة، لكشف واقعة الصعود والاضطراب التي أحدث بها (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد) (ابن جني، ١٩٥٢، ص: ١٦٢/٢) أي تناغم الصورة الصوتية مع الصورة البصرية ليرسم إيقاع الآية، وهو إيقاع شديد مليء بالعذاب الحسي، والنفسي، والفشل في الصعود.

إذ إنَّ اجتماع العذاب الحسي، والعذاب النفسي أشدَّ إيلاًماً على الإنسان، وأكثر إهانةً له، فالتعبير بـ (سأرهقُهُ) هنا لا يُقصد به الإرهاق الذي يتعرض له الإنسان في الحياة الدُّنيا، بل يقصد به الإرهاق الذي يؤدي إلى الانهيار، وتكرار الهاء [h] مرتين في الآية الكريمة (هـ / هـ) وتغير حركة اللسان معها توحى باضطراب نفسية الكافر وتذبذبه فالهاء المهموسة الاحتكاكية غدت مجهورة، وشديدة أكوستيكيّاً لوقوعها بين الأصوات المجهورة ومع المصوتين [i] و [u]، فشدة الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة من الناحية الأكوستيكية (إستيتية، ٢٠٠٣، ص: ١٠٤)، ويوصف صوت الهاء بأنَّه صوت حنجري يشترك مع الهمزة في المخرج (قدوري، ٢٠٠٤، ص: ٩٥) وهو مخرج صعب، ولا يبرز صوت الهاء ينبغي على الالفاظ به الضغط على مخرجه، وهو الحنجرة، وفي ذلك من المشقة ما لا تخفى (جامعة الموصل، رسالة ماجستير، ص: ١٠٧)، وهذا السلوك الصوتي الشاق يصاقب مشقة صعود الجبل.

وتكرار الضمة [u] في (ء ر / ق / هـ / ع) إنّما جاءت لتسايد هذه الأصوات الذالة على الحركة والاضطراب بدلاتها على الحركة الصاعدة.

العين [ʕ] من أوضح الأصوات سمعياً يتسم بالتردد العالي يفوق تردد الأصوات الاحتكاكية (ينظر: الخليل، ٢٠٠٢، ص: ١٣٨ وما بعدها)، فـ صوت (ع) بتردده العالي يمثل الحركة الصاعدة إلى الأعلى تساوقاً مع الصاد، وهو صوت مطبق مفخم يوميء شدة إطباقه، وصعوبة النطق به مع صوت العين بقساوة قلب المنافق وصلابتها، وانغلاق مجرى الهواء في نطقهما يُصاقب انغلاق قلب المنافق عن قول الحق.

والقاف في (ق) وهو صوت انفجاري مفخم خلفي توحى بالمفاجأة (حسن، ١٩٩٨، ١٤٤)، تساوقاً مع دلالة (السين) الذالة على المفاجأة، يتميز صوت القاف بقوة الجرس وذلك بسبب انفجار صوته عند التلطف، فشدة انفجاره، ودويّه هنا يتواءم مع شدة إرهاق المنحرف وانهياره نتيجة الجهد الكبير الذي يبذله في الصعود، إذ تمثل (القاف) الحركة الصاعدة تساوقاً مع المصوّت الخلفي المرتفع المدور الضمة [u] كما توحى انفجارها بانقباض نفسية المتلقي وتوتره. وصوت الدال الممتدة (د) مع المصوّت الطويل [a:] توحى بطول المدّة الزمنية الذي يقضيه هذا الشقي العنيد من عذاب صعبٍ شاقٍ لا يطاق فتضعف عنه قوته كما يضعف قوة من يصعد في الجبل (الصابوني، ١٩٩٤، ٤٧٦/٣). وقد جاء في الحديث الشريف (الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثمَّ يهوي فيه كذلك أبداً) (الصابوني، ١٩٩٤، ٤٧٦/٣).

عليه فإنَّ تكرار هذا العذاب يتلائم مع الحوار الداخلي لهذا المنحرف في تكرار (قتل ... قدر) في قوله تعالى: ﴿إنَّه فكرٌ وقدر﴾ (الآية: ١٨) إلى جانب احتواءه على التهديد، فإنَّ تكرارها ثانية يكشف عن تكرار التهديد والعذاب (وهو أمر يتناسب مع خطورة المقاومة التي إنطوى عليها سلوك هذا الشخص المنحرف) (البُستاني، ١٤٢٤ق، ص: ١٨٥/٥). نستشف مما تقدم أنّ هذا الأسلوب في الوعيد تعبير لغوي بأسلوب بليغ يستهدف منه استثارة المتلقي، وتحفيز ذهنه لتجاوز الكفر، والعناد، والوصول إلى الهداية وفي إطار رد حركة البُنى القائمة على فتح الحوار مع (المتلقي الأول) بنفي الدراية عنه نلحظ أنّها ترد في سياق نص تقترن باسم من أسماء جهنم وهو قوله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ (٢٦)، وما أدراك ما سقر (٤٧) لا تبقي ولا تذر (٢٨) لؤاحة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر (٣٠).

﴿سأصليه سقر﴾ (٢٦)

س	ء	ل	هـ	س	ق
---	---	---	----	---	---

ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م
ص	ص	ص	ص	ص	ص

{وما أدراك ما سقر}-(٢٧)

ق - ر	س -	م -	ك -	ر -	ء - د	م -	و -
ص م	ص م	ص م م	ص م	ص م م	ص م	ص م	ص م
ص					ص	م	

{لا تبقي ولا تذر}-(٢٨)

ذ - ر	ت -	ل -	و -	ق - ي	ت - ب	ل -
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م م
ص		م		ص	ص	

{لواحة للبشر}-(٢٩)

ش - ر	ب -	ل - ل	ت - ن	ح -	و -	ل - و
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م
ص		ص	ص		م	ص

{عليها تسعة عشر}-(٣٠)

ش - ر	ع -	ت -	ع -	ت - س	ه -	ل - ي	ع -
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م م	ص م	ص م
ص				ص		ص	

فحركة الانتقال التي حصلت في هذه الآيات من الغيبة إلى التكلم اختلفت بسببها ذبذبات السياق، ومن ثمَّ الانتقال مرّة أخرى إلى الغائب غدى المتلقي الأول خارج هذه الدائرة، وتحول أثره من متلقي أول إلى شاهد (المقصود به الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم).

ويشير الرازي إلى فاعلية الانتقال من الحاضر إلى الغائب بوصفه دليلاً على المقت، والتبعيد، في حين إنَّ الانتقال من الغائب إلى الحاضر يدل على المزيد من التقرب، والإكرام، لأنَّ قوله تعالى {وما أدراك ما سقر} خطاب الحضور ويُقصد به الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقوله {سأصليه سقر} مقام الغيبة يُقصد به وليد بن المغيرة، وكلّ معاند كافر، لذا تتصاعد وتيرة الخطاب بطريقة مفاجئة وسريعة في هذه الآيات، فتتحبس أنفاس المتلقي الثاني هلعاً وترقباً لما سيقع، وهذا ما يوميء إليه حذف (عذاب) في قوله تعالى {سأصليه سقر} إلى غضب الله عز وجل وشدة عذابه jzsb.univsul.edu.iq

للكافرين وعلى الزجر والتوبيخ، إلى جانب دلالتة على عظيم هذا العذاب وسرعته. عليه (فإنَّ الحذف قد أوسع مجال العذاب وغضب الله جلَّ جلاله إلى أبعد مدى) وإنَّ إيثار كلمة (سقر) وتكرارها (٢) مرتين في هذه الآيات تمثل تصعيداً آخر للخطاب فيحد من حدة توتر النبي (صلى الله عليه وسلم) ويبعث في نفسه الطمأنينة، وإلى جانب آخر يزيد من توتر المتلقي الثاني حتى يصل إلى شدة الفزع، والخوف، ومما زاد ذلك مجيء الأفعال بصيغة المضارع (سأصليه، تبقي، تذر...) لتدل على تجدد هذا العذاب واستمراريته إذ تؤكد تكرار الفعل (قَدَّر) في ثلاثة مواضع على استخدام العقل (فقال) وقد عطف بالفاء لأنَّ هذه المقالة لما خطرت بباله بعد اكتداد فكره لم يتمالك أن ينطق بها، فكان نطقه بها حقيقاً بأن يعطف بحرف التعقيب، ووصف أشكاله التي تشكل بها لما أجهد نفسه لاستنباط ما يصف به القرآن (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ٢٩/٢٨٨).

من هنا كان استحضاره لوظيفة النار التي تركز فعلها على الدماغ فتذيبه، اقتضى هذا المدلول مرجعية الوصف الذي أطلق على النار (سقر) ليكون جزءاً على تفكيره فهو الذي قدره، وتخيله، وصوره، عليه فإنَّ وظيفة النار هنا مرتبطة بالسياق لأنَّها تركز على فعل الإذابة التي تحتاج إلى وقت يتناسب، والتراخي في المراحل التي مرَّ بها (الوليد بن المغيرة) (المتحدث عنه)، وهو يحاول البحث عن طريقة للطعن في القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وسلم) ويُعبر عن تمرده وأساءته حيث كان بين الأفعال تراخٍ وتباعد.

لذا نلاحظ هيمنة صوت (السين والقاف، والزاء) في هذه الآيات، فالأول صوت مهموس لثوي احتكاكي يتسم بالحدة، يوحي بتكرار الوعيد والعذاب، إنَّه صوت فيه تهديد ووعيد، والقاف صوت انفجاري خلفي يتميز بقوة الجرس، وهو من أثقل الأصوات نطقاً، يوحي تركزه بشدة هذا العذاب، وصعوبته أي شدة الإحراق، ففي هذا الصوت قوة وشدة تبت الرعب، والفزع في قلب الكافر.

أما تكرار الزاء [ز] وهو صوت يتسم بالتكرار في أواخر هذه الآيات حتى قوله تعالى ((لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)) توحي بتكرار هذه العملية أي عملية الحرق حتى يصل إلى منتهاه في قوله تعالى ((لاتبقي ولا تذر)) أي منتهى العذاب، إذ إنَّ العذاب يأخذ سمة الاستمرارية بتكرار هذا الصوت مع الأفعال المضارعة الدالة على الاستمرارية، والتجدد، فالإيقاع السريع والشديد في هذه الآيات يبعث الإحساس بالحرق، فالأصوات داخل نسيج هذه الآيات غدت مجهورة تقريباً لتشعر المتلقي بالإيقاع الشديد المنبعث من الآيات كلها مما يوحي بخطورة الموقف وعظمتها، ولاسيما إنَّ التشخيص سيغ صفات آدمية، ومخلوقية على سقر فغدت كأنها واعياً مدركاً يعرف ما يريد، بعد أن منحها التشخيص أوصاف الحياة، والعقل، والوعي، والإدراك والإحساس والانفعال، فالصورة المشخصة للنار تثير حركة ذهنية عن كيفية الحدوث فاستحالت النار واعية تدرك من عليها أن تحرق، لذا فهي تلوح لكل منكر كافر، ومن ثمَّ تقذفهم في أتونها، وتحرقهم، نتيجة ما تعكسه أصواتها الرهيبة المرعبة، فاللام تدل على جر هذا الكافر، وتضعيف الواو، وتكرارها تدل على المبالغة في هذا التلويح حتى تجرهم إلى أتونها، وإنَّ (الحاء) تدل على استسلام هذا الكافر و(ت ن) على الوقوع في النار (سقر)، وتعدّ (لواحة) من أقوى صيغ المبالغة دلالة على الشيء الملازم لصاحبه حتى يصبح حرفه ملازمة له في الوصف (السامرائي، ١٩٨١، ص: ١٠٨)، على وفق ذلك فإنَّ فعال مبني صرفي يقتضي المزاولة، والتجدد، ولكون صاحب الصفة مذموماً على صنعته بسبب دوام إنكار الكافر وعناده (المبرد، د.ت، نص: ١٦١/٣).

أما على المستوى المقطعي، فإنَّ تكرار (سقر) مرتين يُحدِّث توازياً صوتياً ويقرب فونيمات الآيتين ((سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر)) مما يُحدِّث إيقاعاً صوتياً مجلجلاً مليئاً بالرعب، والفزع نتيجة تكرار (س - ق - ر) (ص م / ص م ص) فتفاعل معه أذن المتلقي، ويجذب اهتمامه، ليؤسس لمنظومة صوتية تتسم بالخصوصية، فتعطي شكلاً خاصاً

للنص، وكلما تكررت هذه الفونيمات مع مقاطعها تكونت نغمة معينة تجذب انتباه المتلقي، وغلبة المقاطع القصيرة (ص م) إذ بلغت (١٤) مقطعاً تصف لنا سرعة هذا النار التي تلتهم كل كافر معاند.

ومن الجدير ذكره أنّ نهاية الآيات (ق ر ق ر، ذ ر ش ر، ش ر) وهي مقاطع مُغلقة (ص م ص) زادت من حدة الموقف وتصعيده، إذ ينقطع النفس عند الوقوف على تلك المقاطع فتناسب اختيارها من حيث وقعها الصوتي للتعبير عن شدة هذا العذاب، فصوت الزاء [ز] يُنتج عنهذبذبة اللسان، وهو بذلك يُشبه حالة الاضطراب التي تنتاب ذلك الكافر بسبب هذا العذاب.

ولعل في اجتماع صوتي الزاء، والقاف ما يبرر صعوبة ذلك اليوم، فهما صوتان ثقيلان ثقلاً واضحاً في الأذن، وعلى اللسان كذلك.

فضلا عن ذلك أنّ محاورة أهل الجنة مع بعضهم البعض وهم يسألون عن الكفار، وبما استوجبه من العذاب، بضمير الغيبة يُساهم في تصعيد الأزمة النفسية التي يُعاني منها أصحاب النار، فهذا الحوار يُقصد من ورائه إثارة التوبيخ، والاستهزاء بهم، إذ يرمي القرآن منه تأكيد السخرية، لأن توبيخهم وهم حاضرون، يسمعون وينظرون أنكى لهم وأشد لاسيما أنهم عرفوا مصيرهم، فالاستفهام في هذا السياق خرج عن وضعه النحوي، وهو طلب العلم إلى غرض أسلوبى لطيف يكشف عن عمق الدلالة، وعمق التأثير، فهو استفهام بين فئتين متضادتين واستخدام اسم الاستفهام (ما) المبهم، زيادة في تهكم المؤمنين عليهم وطلباً منهم على الاعتراف الكامل المفصل الذي يزيل الاستفهام المبهم (ينظر: قطناني، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٩٩، ص: ١٤١-١٤٢).

وهذا ما دلّت عليه كثرة تكرار النون إذ تكررت (٢٧) مرّة لاسيما في قوله تعالى: ﴿لم نك من المصلين﴾ (٤٣) ولم نك نطعم المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكدّب بيوم الدين (٤٦)؛ فتراصف هذه النونات (ن - ف، س - ن، ت - ن، ن - ل، ن - ط، ك - ن، ن - ن، ن - ن، ن - ل، ق - ن) وتكرارها توحى بالهيجان النفسي، حيث إنّ الت حسر أو الندم عارض نفسي باطني، فالنون صوت لثوي - أنفي - مجهور يصل التردد فيه إلى حوالي (800-1100 Hz) (Carole، ٢٠٠٧، ص: ٢١٤) فانتهاء هذه الآيات واحتوائها على هذا النون بكثرة يعلن بوضوح عن إعتراف أهل النار بأخطائهم وإظهار ندمهم وتحسّرهم، وثمة إيحاء آخر لهذا الصوت، وهو أنّ العربية كانت ترتبط العزة والذل بالأنف عليه فمن شأن هذه النون أن تشعرك في ظل الحديث عن العقاب بما يجذّه الكافر من ذل وهوان عند العذاب، فغنتها تستنطق زفرات الأسى من أعماق المتحسرين وهذا ما دلّت عليه تكرار الكاف في: ﴿ما سللكم في سقر﴾. فهذا اللفظ أبلغ في تصوير العذاب والاندلال مما لو قيل (أدخلكم) إذ فيه عنف وفضاعة فقد جعل التكرير فيه دليلاً على قوة أثره النفسي، فهو يصور لنا حال المجرمين، وهم قد وُضعوا في سقر واحداً فوق الآخر صفوفاً أي يشير هذا اللفظ إلى هيئة أبعد ما تكون عن حياة الإنسان وشخصيته (العارضى، رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، ٢٠٠٢، ص: ٢٣٦).

فالكاف [k] صوت طبقي مهموس، انفجاري خلفي يتسم بالشدّة والصلابة (البهنساوي، ٢٠٠٤، ص: ٧٧) وصعوبة في المخرج فصوت الكاف شاق على الالفاظ به لأنّ (أحرف أقصى الحنك أشق من نظائرها التي مخرجها طرف اللسان مثل: الكاف إذ قورنت بالتاء، ولهذا نسمع الكاف في لغة الأطفال تاءً، فيقولون أحياناً، تلب بدلاً من كلب) (أنيس، ١٩٥٢، ص: ٣٠)، فهو أقرب للتعبير عن مواقف الشدة والحالات الصعبة.

ومما يعضد هذه الدلالة تكرار الكاف [k] (٦) ست مزات في الآيات السابقة إذ يتطلب الاعتراف الطويل المفصل بالجرائر الكثيرة أصواتاً خلفية تتسم بالشدّة والقوة والصلابة (البهنساوي، ٢٠٠٤، ص: ٧٧)، وصعوبة في المخرج ليكون

أجود بالتعبير عن مواقف الشدة، وقد وقعت الكافات الواردة في الآيات السابقة في بداية الآيات (لم نك، وكنا)، وعليه فهي ترسم لنا صعوبة الاعتراف والمشقة التي يعانها الكافر في ذلك اليوم مما يفقدهُ الذهن وتوازن النفس، وهو مع فقدان هاتين الصفتين يفقد الإنسانية، ويتحول إلى ما يُشبه العضوية الحيوانية، وهذا ما دلّ عليه التكرار في قوله تعالى ((كأنهم حمزٌ مستنفرة، فَرَّتْ من قسورة)) حيث تكررت كلمة (فَرَّ) مرتين، وهي صورة حافلة بالحركة، داعية إلى السخرية (سيد قطب، ٢٠٠٦، ص: ٢١٩)، وهي صورة تشبيهية تتمثل في لقطة من لقطات الحركة الانتشارية السريعة العنيفة التي تجسدهُ كُلُّ من (حُمُزٌ) و (مس تنفرة) تتجلى في (حُمُزٌ) الحركة النفسية غير المرئية، واضطرابها بسبب تذكيرهم بربهم، وبمصيرهم والإيقاع الثقيل الذي تحمله الضمة في بنية (حُ / م / رُ ن) ينسجم مع ثقل هذا الموقف الذي يتعرضون له بسبب إنكارهم وعنادهم.

في حين تتضح في (مستنفرة) سرعة الحركة النفسية المنظورة، واضطرابها، وهي أكثر دقة في التعبير عن معاني المفاجأة، والسرعة الخاطفة المذهلة، ف صوت الفاء [f] يدل على الحركة السريعة في النفار، والراء [r] توحى باضطراب نفسية الكافر، وحركته غير المنتظمة وشدة الذعر والهلع، وترسم لنا الفتحان في فَرَّ (فَ ر / رَ) إيقاع الخفة إذ تحمل سمات الحركة السريعة، والخفيفة، لذا سجلت الفاء والراء مع الفتحان أعلى طاقة تعبيرية، إذ يشبه هؤلاء الكفار بالبهائم، والحيوانات، فهذا مما له بُعد نفسي كبير، حيث إنَّ النفس في الغالب لا ترضى أن توصم بالدونية، فيكون في هذا الأسلوب ما يشبه الحافز، والدافع الذي يدفع الإنسان إلى التفكير (الجیوسی، ٢٠١٤، ص: ٤٦٢).

ومما يعضد هذا التفسير تكرار (ذكر) وبصيغ مختلفة خمس مرّات (ذكرى، التذكرة، تذكرة، ذكره، يذكرون) في قوله تعالى ((فما لهم عن التذكرة معرضين(٤٩).... كلاً إنَّه تذكرة(٥٤) فمن شاء ذكره(٥٥) وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة(٥٦))) فهذا التكرار يُحفز الذهن إلى التأمل، والتفكير، واستخدام الإنسان لممكاته آدميته، وعدم التفريط بها، لأنَّ في ذلك هدراً لقيمته، وكرامته وإحاقاً له في جموع الحيوانات، أو الكائنات غير ذات الإرادة، والمسؤولية (ينظر: عبود، ٢٠٠٣، ص: ١٥٨) عليه فإنَّ كُلَّ أصوات هذه الكلمة تساوقت مع بعض لإفادة التركيز والتفكير، والتذكر، فالذال / صوت مجهور احتكاكي يوصف بأنه [acute] [بركة، ١٩٨٨، ص: ٤٩] وهي تدل على الاهتزاز والاضطراب (حسن، ١٩٩٨، ص: ٦٦) فاهتزاز الوترين الصوتيين معها يثيران اليقظة، والتنبه في ذهن المتلقي وتنسجم مع الإنذار، وتكرار الراء [r] معها وقد اتصفت بميزة التكرير والجهر لتنسجم مع التذكير لمن أنكر وكفر بأمر عذابه سيكون العذاب الأكبر، ثم إنَّ فيها تنبيه نفسي وعقلي لما يجري من أمور بسبب ارتدادهم وعنادهم، وهذا ما دلَّت عليه تكرار الكاف فهي ترسم لنا المشقة التي يعانها الكافر في ذلك اليوم، عليه (فمن شاء فليذكر، ومن لم يشأ فهو شأنه، وهو مصيره، وهو ما يختار من جنة وكرامة، أو من سقر ومهانة) (سيد قطب، ١٩٨٨، ص: ٣٧٦٣/٢٩).

أما على المستوى المقطعي، فإنَّ تكرار (ذكر) خمس مرّات يحدث توازناً صوتياً ويُقرب فونيمات هذه الآيات مما يحدث إيقاعاً متذبذباً مليئاً بالاضطراب، والحركة متصلاً بواقع الحالة النفسية التي يعيشها كُلُّ من المؤمن والكافر نتيجة تكرار (الذال، والكاف، والراء) في مقاطعها (تَ ذ / كَ - / رَ ه) و (ذَ / كَ - / رَ ه) و (يَ ذ / كَ - / رَ ه) و (نَ - / ذَ / كَ - / رَ ه) إذ ثمة انفعال نفسي في هذه الآيات فهي تدل على خوف صريح للإنسان، وهذا ما دلَّت عليه تكرار الهاء في الفواصل الأخيرة ما عدا قوله تعالى (..... هو أهل التقوى وأهل المغفرة(٥٦)).

فالهاء / صوت حنجري احتكاكي مهموس، وسمة الهمس تنمشى مع التذكر والتفكير، والتأمل، والتدبر لمصير الإنسان.

تُمَّ إِنَّ الْخَطَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَبْدَأُ بِالْهَبْوِطِ، وَالْهَدْوِ لَذَا غَلَبَتْ فِيهَا الْأَصْوَاتُ الرَّخْوَةُ، وَمِنْ ثَمَّ هَيْمَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ أَوْ الْمَقَاطِعِ الْأَخِيرَةِ مِنْهَا الْأَصْوَاتُ الْمَتَوَسِّطَةُ الْبَيْنِيَّةُ فَبَلَّغَتْ نَسَبَتَهَا (٤٥٪) لِأَنَّ الْخَطَابَ الْقُرْآنِيَّ قَدْ بَلَغَ غَايَتَهُ، الْأَوْهُوَ تَهْدِئَةُ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مَعَ بَيَانِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ. إِذْ تُوْحِي الْأَصْوَاتُ الرَّخْوَةُ (الْهَاءُ، الزَّاءُ، الْفَاءُ) بِالرِّقَّةِ، وَاللِّطْفِ، وَالرَّحْمَةِ الَّتِي يَعِدُّ بِهَا اللَّهُ عِبَادَةَ.

نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الشكر على آلائه ونعمائه الكثار بعد جولة إيمانية فسيحة في رحاب السورة المباركة، ورياضها، ورحلة تقص، وبحث شيقة عن ظاهرة التكرار للبنى الصوتية ووظائفها الدلالية وفق المنظور اللساني ومعطياته توصل البحث إلى نتائج متعددة، أهمها:

١- تؤدي ظاهرة التكرار إلى تماسك الألفاظ، وهذا التماسك، و الانسجام انعكس على الآيات القرآنية داخل السورة الواحدة عن طريق إمتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، ومن ثم يؤدي هذا التكرار إلى تعميق فكرة ما داخل السورة.

٢- تكرار الفاء (٣١) مرة في النص أضفت على السياق الحركة السريعة الدائبة ومن ثم عمقت معنى روح الاستنهاض السارية في النص كله.

٣- تبين للبحث أن تكرار (الزاء) في أواخر الآيات، وهي ساكنة حفزت شعور الطمأنينة والهدوء والسكينة عند الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وبتناغم دلالتها مع الإنذار أي استمرار النبي في إنذار الناس ودعوتهم إلى عبادة الله تعالى .

٤- تكرار صوت الدال مع الألف يُشكلان تلقائياً ظاهرة صوتية تدعو إلى التأمل ومن ثم إن حركة الدال الأفقية الممتدة تتسق مع سعة ثراء وليد بن المغيرة وبسط سلطته ونفوذ.

٥- وتوصل البحث إلى أن تكرار (سقر) يُحدّث توازياً إيقاعياً صوتياً مجلجلاً مليئاً بالرعب والفرع، ومن ثم يُؤسس لمنظومة صوتية تتسم بالخصوصية فتعطي شكلاً خاصاً للنص، فعلى وفق ذلك كلما تكررت فونيمات هذه الكلمة مع مقاطعها تكونت نغمة معينة تجذب انتباه المتلقي.

٦- وثمة ملحظ نفسي في تكرار (كلاً) أربع مرّات في هذا النص بحركتها الصاعدة الممتدة، وبإيقاعها المشحون بالغضب الإلهي يمثل تصعيداً للخطاب الموجه للنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بغية تطمينه وتهديته، فيما كان صوت الكاف الحنكي الشديد المهموس حمل في طياته وفق هذا الاستعمال معالم الشدة والعنف.

٧- وقف البحث عند حقيقة مفادها أن غلبة المقاطع المغلقة (ص / م / ص) في الآيات السبع الأولى يتساق مع الثقل النفسي الذي كان يعيشه النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما دلّت المقاطع الطويلة المفتوحة (ص / م / م) على المبالغة في المعطيات التي أُغدقت على الوليد بن المغيرة.

٨- وأدى تكرار (ذكر) خمس مرّات إلى حدوث إيقاع متذبذب مليء بالاضطراب والحركة.

٩- تبين للبحث أن غلبة الأصوات المتوسطة بنسبة (٤٢٪) جسدت حال الثار تارة وحال المؤمنين تارة أخرى، والتوسط بين التذكرة والعقاب الذي ينجم عن الإعراض عن هذه التذكرة.

قائمة المصادر والمراجع

- الألوסי ، محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم السبع المثاني ، إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (٣٠) جزء، (د.ت).
- الألوسي، سلام كاظم، جماليات الخطاب القرآني برواية معاصرة ، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، ديوانية العراق ، ط١، (٢٠١٤).
- إستيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية، ونطقية، وفيزيائية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع عقان، الأردن، ط١، (٢٠٠٣).
- ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، مؤسسة التأريخ، بيروت، لبنان، (٢٠٠٠) (٣٢) أجزاء.
- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، معجم لغوي علمي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت).
- أبو الهيجاء، د.خلدون ، فيزياء الصوت اللغوي ووضوح السمع، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي، عقان، الأردن، ط١، (٢٠٠٠).
- أبو السعد، عبدالرؤوف، الأداء النفسي واللغة العربية، دار النمر للطباعة، القاهرة، (١٩٨٥).
- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية ، مكتب الأنجلو، مصر، (١٩٩٩).
- البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم ، مطبعة أستانة الرضوية المقدسة مشهد، مجمع البحوث الإسلامية إيران، ط١، (١٤٢٤ ق).
- بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، (٢٠٠٠).
- البهنساوي، د.حسام، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، (٢٠٠٤).
- بركة، د.بسام، علم الأصوات العام ، مركز الإنماء القومي ، بيروت، لبنان، (١٩٨٨).
- البخاري، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، (١٩٩٢).
- بدوي، أحمد ، من بلاغة الخطاب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (٢٠٠٥).
- البريسم، قاسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٠).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٩٥).
- الجرجاني، عبدالقاهر، الخطابي، الزماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، من سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، مصر، القاهرة، (د.ت).
- الجيوسي، عبدالله محمد، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دارالغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، ط٢، (٢٠١٤).
- الخضري، محمد الأمين، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط١، (١٩٩٣).
- الخليل، عبدالقادر مرعي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، المكتبة الوطنية ، عقان ، الأردن، ط١، (٢٠٠٢).
- الخطيب، عبدالكريم، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار الفكر العربي ، مصر (١٩٦٤).

- تمام، حسان، مناهج البحث في اللغة ، مطبعة الرسالة ، مصر ، (١٩٥٥).
- حسن، عباس ، خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا (١٩٩٨).
- الحيايالي، دنوار محمد إسماعيل، التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، دار النشر، جامعة الموصل، كلية الآداب، الموصل، ط١، (٢٠٠٤).
- الحمد، د. غانم قدوري، المدخل إلى علم الأصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، بغداد، العراق، (٢٠٠٢).
- الرازي، أبو بكر بن عبدالقادر الحنفي ، مختار الصحاح، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، (١٩٩٩).
- الزاوي، الإمام محمد الرازي فخرالدين ابن العلامة ضياء الدين الملقب بفخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٩٨١).
- ربابعة، موسى ، دراسة أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الكندي، إربد، الأردن، (٢٠٠١).
- رشيد، طرنط صالح ، جماليات التشخيص في التعبير القرآني ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن، (٢٠١١).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن احمد ، تفسير الكشاف، رتبته وضبطه وصححه محمد بن عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (٢٠٠٠).
- السامرائي، فاضل صالح ، معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن (٤) أجزاء (٢٠٠٠).
- سيبيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان ط٣ (١٩٨٣).
- السيد، محمد شفيق ، الإتجاه الأسلوبية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (١٩٨٦).
- السعمران، د. محمود ، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ، دارالمعارف ، مصر، ط١ (١٩٦٢).
- شاهين، عبدالصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، دار القلم، القاهرة، مصر، (١٩٨٠).
- شاكر، محمد محمود، نمط صعب ونمط مخيف، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط١، (١٩٩٦).
- الشايب، فوزي حسن ، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، (١٩٩٩).

الرسائل الجامعية:

- جلال ، فؤاد على ، البنى الصوتية والصرفية في سور (محمد، والفتح، والحجرات)، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، (٢٠٠٧).
- العارضي، محمد جعفر محسن، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، العراق (٢٠٠٢).
- محمد ، عمر مادح ، صور من الدعاء في القرآن، دراسة صوتية ، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، (٢٠٠٥).

البحوث المنشورة في الدوريات:

- العطار، سليمان عبد العظيم ، الأسلوبية علم وتاريخ ، مقال منشور في مجلة فصول (مجلد ١) (العدد ٢)، ١٩٨١.
- فطة ، د. عبدالقادر ، بلاغة التكرار في القرآن ، عود السند مجلة ثقافية فصلية، الجزائر، العدد (٩٦)، (١٩٩٦).

البحوث المنشورة على شبكة الإنترنت:

- عكام ، د. فهد، نحو تأويل تكاملي للنص القرآني، أنموذج من السور المكية، مجلة التراث العربي.
- <http://iq800508.us.archive.org/6/items345433354>.

المصادر الأجنبية:

- Carole T ,Speech Science, second edition, New York, Allyh and Bacon Baston. (2007)
- Foged, Peter Lade, A course in phonetics, second edition. Har Court Brace Javanvich Publishers. (1982).